مفهوم الاستقامة

◄وهذا المعنى يتوضح من خلال المفاهيم الآتية:

"(ربّ ُنا ا) تحدّدُ لكَ الهدف، والطريق والجوّ َ.. فهي كلّ ُ حياتِك".

مفهوم الاستقامة:

من المفاهيم التي أراد ا أن يؤكدها في وجدان النبيّ (ص) في خط الدعوة والحركة وفي وجدان كلّ المسلمين الذين اتبعوه، مفهوم الاستقامة، الذي أراد ا وله ولكلمة التوحيد أن يلخصا كلّ الإسلام وكلّ الدعوة، بحيث تكون الدعوة منطلقة من قاعدة التوحيد ثمّ الامتداد في خط الاستقامة، قال تعالى: (إِنّ َ الّ َذِينَ قَالُوا رَبّ ُنَا اللّ َهُ ثُمّ َ اسْتَقَامُوا) (فصّلت/ 30).

كيف نفهم المسألة؟

إنّنا نفهم المسألة على أساس أنّ لكلّ عقيدة قاعدة تنطلق منها، ولابدّ لهذه القاعدة أن تنفذ إلى كلّ جزئية من جزئيات هذه العقيدة، إنّ القاعدة هي الروح لكلّ عقيدة ولكلّ تيار ولكلّ مبدأ. واﷲ سبحانه وتعالى جعل قاعدة الرسالات كلّها (رَبُّنَا اللَّهُ). فلقد جاء الأنبياء بهذه الكلمة وفرّعوا عليها مما أراد اﷲ لهم أن يفرعوا، فإن تنطلق من أنّ اﷲ ربّك وحده لابدّ أن تعيش معنى الربوبية في ذاته، وحركتها في ذاتك، فالربوبية في ذات معناها أنّه هو الذي أعطى كلّ شيء وجوده وحركته وكلّ عناصر الحيوية فيه وكلّ امتدادات الحياة له، وأنّه أعطاه ذلك ورعاه وربّاه وأراد له أن يعيش معه وأن يتحسس هذه المعيشة مع اﷲ، أما في وعي العبد الربوبية ﷲ، فإنّ ذلك يتمثل في إحساس العبد العبودية ﷲ، والعبودية هنا ليست خطاً قانونياً كما تعارف الناس أن يضيفوا عبداً إلى سيده، ولكنها عبودية تنطلق من معنى الخلق في العبد، فنحن عبيد اﷲ لأنّ ذاتنا هي ذات العبودية ولأنّ اﷲ هو الخالق فهو المالك، فملكية اﷲ لنا هي سرّ وجودنا، فنحن لا نملك الوجود المستقل بل نحن نملك الوجود الظل.

العبودية ﷲ:

ومن هنا فإنّ معنى أن يكون اﷲ ربّك أن تكون أنت عبده، وأن تكون أنت عبده أن تسير في الخط الذي يجسد هذه العبودية، أن لا تتحسس من عبوديتك أمام اﷲ، أن لا يخطر في بالك أن تعطي فكرك الحرّية التي ينفصل بها فكرك عن اﷲ، وأن تعطي قلبك الحرّية التي تبتعد فيها عاطفتك عن اﷲ، وأن تعطي حركتك الحرّية التي تذهب بعيداً طاعة اﷲ فيما أمر وفيما نهى.

أنت عبد في دائرة اﷲ وعبوديتك هي سرّ حريتك أمام الكون وأمام الناس، فأنت توحّد اﷲ لتوحيد عبوديتك له، ثمّ لتنطلق في كلّ الساحات لتشعر أنّك حرٌّ في فكرك أمام فكر الآخرين. عندما تكون القضية خصوصية فكرك وأنت حرّ أمام الآخرين، بحيث تقول ربّي اﷲ، فلا معنى لأن تكون لك شريعةٌ غير شريعته، وأن تقول ربي اﷲ فلا معنى لأن يكون لك أولياء غير أوليائه، أو يكون لك أعداء غير اعدائه، لأنّك لا تملك استقلالك في العاطفة أمام ما يريده اﷲ لك في حركة العاطفة في وجدانك.

وهكذا فإن تؤيد هنا أو ترفض شخصاً، خطاً، نهجاً، موقعاً هناك.. أن تَسْتَفتي رأيك قبل أن تعطي الموقف تأييداً، وأن يكون الذي تؤيده ممن يرضى اﷲ عنه شخصاً، فكراً، نهجاً، موقفاً واقعاً وأن ترفض مثل ذلك إن كان ممن لا يرضى اﷲ عنه.

اختبار الذات:

وإذا أردت أن تعرف نفسك فإنّ أهل البيت يقولون فيما يُروى عنهم (عليهم السلام) "إذا أردت أن تعرف نفسك فانظر قلبك كان قلبك يُوالي أولياء اﷲ ويعادي أعداء اﷲ ففيك خير واﷲ يحبّك" لأنّك فتحت قلبك فجعلته بين يدي اﷲ "وإن كان قلبك يوالي أعداء اﷲ ويعادي أولياءه فليس فيك خير واﷲ يبغضك، والمرء مع مَن أحب" فإذا أحببت اﷲ أحببت مَن يُحب، وإذا أحببت اﷲ أبغضت مَن يُبغض.

تلك هي المعادلة العاطفية والحركية فيما هو الموقف والموقع. "ربّنا اﷲ" ثمّ انطلق أمامك، ولا تلتفت يميناً ولا شمالاً "ربّنا اﷲ" تحدد لك الطريق، و"ربّنا اﷲ" تحدد لك الهدف، و"ربّنا اﷲ" تصنع لك الجو، و"ربّنا اﷲ" تحرك لك الأسلوب، و"ربّنا اﷲ" هي كلّ حياتك (ثُمَّ اسْتَقَامُوا). واﷲ سبحانه وتعالى يقول: (وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (يس/ 61). هذا القرآن وهذا الإسلام هو الصراط المستقيم الذي تمتثلون فيه إلى اﷲ قبل صلاتكم (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة/ 6). واﷲ يقول لكم: إنّكم تطلبون هدايتي لكم إلى الصراط المستقيم (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ) (الأنعام/ 153). ولذلك قال اﷲ لرسوله (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ) (الشورى/ 15). لدعوتك ولا يضلك الآخرون، لا يضغطوا عليك باغراءاتهم تارة وبترهيباتهم أخرى، لا يندفعوا إلى نقاط ضعفك ليثيروها حتى يسقطوا موقفك (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلا * وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ) (الإسراء/ 74-73).

استشعار معيّة ا:

بالعصمة والنبوّة والقوّة الروحية التي تملكها (لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا) (الإسراء/ 74). وهذه هي طبيعة الضعف البشري عندما يندفع إليه الآخرون ليضغطوا عليه، ولكن الأنبياء كانوا يملكون قوة الروح وقوة الفكر وقوة الموقف (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ) (التوبة/ 40). فمهما يجادلك الآخرون ومهما اقتربوا منك ليسقطوك ومهما ضغطوا عليك فلا تحزن لسنا وحدنا (إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) وهذه الـ"معنا" ليست للنبيّ وحده، بل هي لكلّ مَن ينفتح على ا ليشعر أنّ ا معه (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ). كلّ الناس (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) (آل عمران/ 173). أنتم وحدكم وأنتم الضعفاء في الساحة... حاولوا أن تعطوا بأيديكم إعطاء الذليل وأن تقروا إقرار العبيد، ألغوا شخصياتكم، ألغوا مواقفكم، لأنّ الناس قد جمعوا لكم (فاخشوهم) فالفرد عندما يندفع المجتمع ضده فإنّه يشعر بالإحباط وباليأس والاهتزاز والزلزال والسقوط، لذلك فاخشوهم، ولكنهم لم يلتفتوا إلى الناس، كانوا يعيشون في عالم آخر، كان الناس يهددونهم بالناس وكان الإصرار ينفتح بهم على ا ويمنحهم القوّة ويجعلهم يخشون ا ولا يخشون الناس، فزادهم هذا الكلام وهذا التهديد، زادهم إيماناً، عرفوا أنّهم في الموقف الصحيح، عرفوا أنّهم استطاعوا أن يُنزلوا بمجتمع الكفر ضعفاً أو يفتحوا فيه ثغرة ولذلك اجتمع عليهم..، وكلّما اجتمع الناس عليك ووقفوا ضدك وسبّوك وشتموك فإنّ معنى ذلك أنّك بدأت تترك تأثيرك في الواقع، أما عندما تنطلق ويمدحك الظالمون ويهلل لك المنحرفون ويصفق لك الضالون إعرف أنّك لست في الطريق الصحيح. أفصح عن نفسك وفكرك وطريقك، لكن عندما تبدأ اللعنات والاتهامات، والشتائم والتحديات أعرف أنّك بدأت تترك شيئاً في الأرض، وبدأت تدخل بعض القلوب وبعض العقول (فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ) (آل عمران/ 173). إنّ ا معنا، وإذا كان ا معنا فا الكافي من كلّ شيء ولا يكفي منه شيء وهو "نعم الوكيل" وكانت النتيجة (فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ – بوساوسه ومخاوفه وتحركه على نقاط الضعف - يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) (آل عمران/ 175-174).

فلا تكونوا أولياءه لتكونوا المهزومين، ولا تكونوا أولياءه الضعفاء (فلا تخافوهم)، إنّهم لا يملكون أن يضروكم أو ينفعوكم إلّا بإذن ا إذ ليست لهم القوّة في ذلك. مَن هو صاحب القوّة (أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) (البقرة/ 165). و(إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) (يونس/ 65). (وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران/ 175). (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) (الشورى/ 15). وهذا هو خط الاستقامة في الحكم.

خط الاستقامة في الحكم:

أعدل بينكم في الحكم وفي القانون وفي كلّ ذلك الواقع (وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) (الشورى/ 15). (اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) (الشورى/ 15). وهو ربّ العالمين جميعاً وليس ربّ فئة دون فئة، ا ربّنا وربكم (لَنَا أَعْمَالُنَا) (الشورى/15) التي نتحمل مسؤوليتها، (وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) (الشورى/ 15). (لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ) (الشورى/ 15). تقطعت الحبال بعد أن رفضتم الحوار، (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (الشورى/ 15). هذا هو الخط، خط الاستقامة فيما ينفتح به الإنسان على الحياة، وهكذا كانت النتيجة (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا) (فصّلت/ 30). ممّ تخافون وا قد أعطاكم الأمان (وَلا تَحْزَنُوا). لماذا تحزنون والفرحة الإلهية تتفجر في قلوبكم بالنعيم والرضوان، (وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (فصّلت/ 30). ستجتازون ظلمة القبر ووحشته وأهوال القيامة ومشاكلها (وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ)، فارقتم أولياءكم وتحسون بالوحشة الآن.. (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (فصّلت/ 31)، كنّا معكم من حيث لا تشعرون، كنّا معكم عندما كنتم تطيعون ا وتجاهدون في سبيله ونحن أولياؤكم في الحياة الآخرة حيث يصور ا لنا المشهد في آية أخرى. (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) (الرّعد/ 24-23). كانت قصتكم قصة صبر، صبر على الطاعة، وصبر على المعصية، وصبر على بلاء ا (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) (الرعد/ 24)، (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) (فصّلت/ 32-31). وتلك هي النهاية الحلوة، رضوان ا وجنّته، ولكن بشرط أن تكون مخلصاً وأن يكون ا ربّك وأن تستقيم في هذا الخط، أن يستقيم فكرك في خط التوحيد وأن يستقيم قلبك في خط التوحيد وأن تستقيم حركتك في خط التوحيد وإذا امنت في كلّ حياتك با، فمن الطبيعي أن لا تنفصل عن ا في الآخرة إذا لم تنفصل عنه في الدنيا. (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) (النحل/ 128).►